الفصل السادس

نتائج عملية القمع

من المفترض أن الدولة تلجأ إلىٰ استراتيجيات القمع لتحقيق أهداف سياسية معينة علىٰ اعتبار ما سبق أن أشرنا إليه في بداية هذا الفصل من أن القمع هو امتداد للعملية السياسية ولكن بأشكال وآليات أخرىٰ. واستمرار الدولة في تنفيذ عمليات القمع مرهون بنجاح هذه الآلية في تحقيق أهداف السلطة الحاكمة. فإذا لم يجدِ استخدام القمع ولم ينجح في تحقيق الأهداف المرسومة فإن الاستمرار فيه يصبح فعلاً لاعقلانياً أو فعلاً دفاعياً بحتاً للنجاة والبقاء علىٰ قيد الحياة.

ورغم قدرة القمع أحياناً علىٰ تحقيق أهداف السلطة الحاكمة؛ إلا أنه يظل نجاحاً وقتياً، وبإمكان المقاومة أن تطيح بالسلطة، مثلما حدث في أغلب التجارب القمعية التي انتهت بإزالة السلطة المستبدة في دول وسط وشرق أوروبا وأمريكا اللاتينية وإيران. وبالتالي فإن القمع كأحد أدوات العملية السياسية يحقق النجاح إذا تم استخدامه علىٰ نطاق ضيق، أما إذا أصبح سياسة واستراتيجية دائمة، واعتمدت عليه السلطة الحاكمة كأداة أساسية في تحقيق أهدافها، فإنه يحمل في طياته عوامل تدمير هذه السلطة وإسقاط هذا النظام.

ومن ثم يمكن القول أن استخدام أداة القمع لتحقيق أهداف جزئية وإنجازات بسيطة عادةً ما ينتهي بالنجاح، وبتكرار الحملات القمعية علىٰ مراحل زمنية متباعدة تتراكم الإنجازات وتحقق الأداة الهدف المطلوب منها في إطار العملية السياسية الشاملة. وحتىٰ إذا لم تنجح استراتيجية القمع في تحقيق بعض الأهداف فإن استخدامها لا يؤدي إلىٰ إسقاط النظام بالكلية ولا يؤدي إلىٰ تدمير العملية السياسية. بينما استخدام القمع لتحقيق أهداف شاملة وإحداث تحولات عميقة في المجتمع أو الحياة السياسية فهو يعني استراتيجية قمعية طويلة المدىٰ ومستمرة. بمعنىٰ أن القمع عبارة عن حملة واحدة طويلة

وشاملة وعنيفة. وحتىٰ إذا نجحت هذه الحملة في تحقيق الأهداف فإن نتائجها المباشرة هو تدمير العملية السياسية الطبيعية، لتصبح البنية التحتية للقمع هي نفسها البنية التحتية للعملية السياسية، فالسياسة تحكمها فعلياً الأجهزة الأمنية التي تدير القمع. إنها حالة من التماهي الكامل بين السياسة والقمع. هذه الحالة تحمل في رحمها بذور تدمير النظام برمته. فهو نجاح وقتي يسيل لعاب السلطة الحاكمة، لكنه يحمل لها الخراب والفناء في المستقبل.

وعندما تلجأ السلطة الحاكمة إلىٰ هذه الحملات القمعية الشاملة العنيفة، فقد استخدمت كل أسلحتها، واستنفذت كل خياراتها، فإذا أصر المجتمع علىٰ أن ينال حريته، ولم يثنيه هذا القمع تبدأ هزيمة السلطة بانهيار إرادتها وتغير الوعي بموازين القوة في المجتمع.

حملات القمع الجزئية المتكررة على مراحل زمنية متباعدة قد تضمن نجاة النظام واستمراره
حملة القمع الواحدة والشاملة والمستمرة تضمن سقوط النظام وتدمير أركانه.

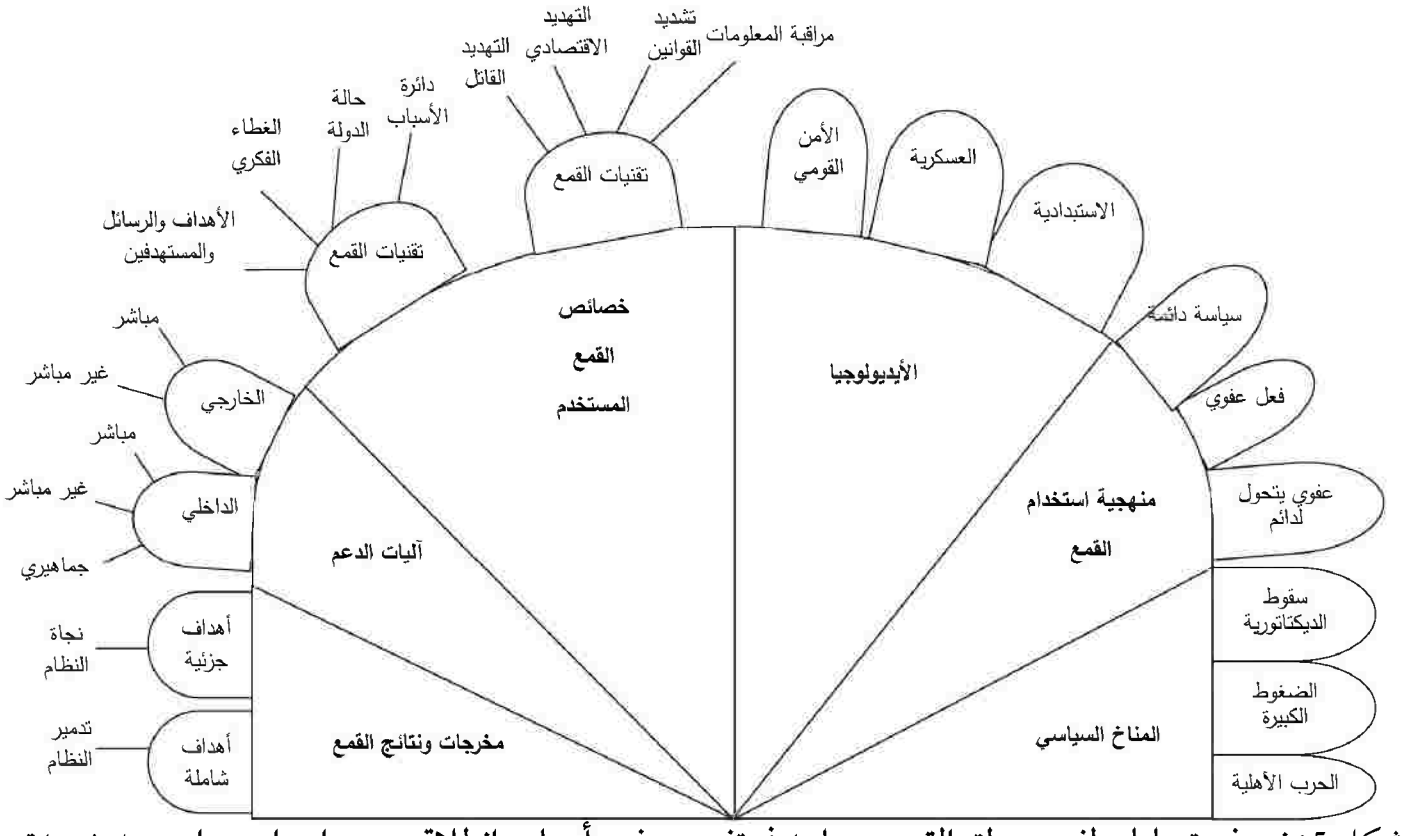

شكل 5 : نموذج تحليلي لفهم منطق القمع، يساعد في تفسير وفهم أسباب انطلاقه ومبررات استمراره ومدى حدته

الخلاصات

* حملات القمع الجزئية المتكررة على مراحل زمنية متباعدة تضمن نجاة النظام واستمراره، بينما حملة القمع الواحدة والشاملة والمستمرة تضمن سقوط النظام وتدمير أركانه.
* عندما تلجأ السلطة الحاكمة إلى الأداة القمعية، فقد استخدمت كل أسلحتها، واستنفذت كل خياراتها، فإذا أصر المجتمع على أن ينال حريته، ولم يثنيه هذا القمع تبدأ هزيمة السلطة بانهيار إرادتها وتغير الوعي بموازين القوة في المجتمع.

* * * *